نسمات الأدب
رينا علي
تاجان
وقلب واحد
أيمن القيصر

تاجان وقلب واحد

أيمن القيصر

تستعرض لكم دار نسمات الأدب للنشر الإلكتروني بعزيمة وإبداع جديد

الكتاب : تاجان وقلب واحد

المؤلف:أيمن القيصر

غلاف الكتاب: دينا على

موك اب الكتاب: منة محمد

تنسيق داخلي: سوسن سعيد

إدارة الدار: رزان محمد كليب

مع نسمات الأدب، أفكارك تنبض بالحياة!

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

الفصل الأول

حين نظر إليها أول مرة

كانـــت مملكـــة نـــورالين يومهـــا فـــي أوج قوتهـــا والملـــك العجـــوز ألـــداريوس يحكمهـــا بعـــينٍ مـــن حديـــد، وقلـــبٍ مـــن حجـــر فـــي قصـــرها العـــاجي كانـــت الأميـــرة ليانـــا تُمثـــل كـــل مـــا تبقّـــى مـــن الأمـــل النقـــي فـــي هـــذا المكـــان فتـــاةٌ بعينـــين رمـــاديتين كســـماء الشـــتاء وصـــوتٍ لا يُشـــبه إلا صـــوت المطـــر إذا لامـــس نوافـــذ الزجـــاج.وفي يـــومٍ خريفـــيٍ بـــارد دخـــل إلـــى القصـــر رجـــلٌ غريـــب لا يحمـــل الرايـــات ولا يتقدمـــه ســـفراء دخـــل كـــأن الهـــواء يتنحّـــى لمـــروره كـــأن الصـــمت ينحنـــي لخطـــاه كـــان ذلـــك الأميـــر ريـــان أميـــر مملكـــة "أوريـــلاس" حيـــث لا تنـــام الســـيوف ولا تنكسر الكلمة.

كـــان لقاؤهمـــا الأول فـــي الحديقـــة الجنوبيـــة حيـــث كانـــت ليانـــا تطعـــم طـــائرًا صـــغيرًا علـــى كفها لم تلاحظ قدومه حتى قال لها:

-"كيـــــف لطـــــائرٍ أن يـــــأمن كفًّـــــا لا يعرفها؟"التفتـــت بســـرعة لـــم تكـــن تعـــرف مـــن يكـــون لكـــن نظراتـــه لـــم تكـــن غريبـــة فيهـــا شـــيءٌ مـــن الهـــدوء الغريـــب والجنـــون الـــذي يُخيـــف ويُفـــتن ارتبكـــت لكنهـــا لـــم تتراجع.قالت بهدوء:

-"الطيـــور لا تختـــار مـــن يطعمهـــا لكنهـــا تعـــرف مـــن لا يؤذيهـــا."اقترب منهـــا بخطوة ثم انحنى برأسه وقال:

-"ريـــان أميـــر أوريـــلاس جئـــتُ لأعـــرض علـــى والـــدك شـــيئًا لا يُرفض."فهمـــت الرســـالة قبـــل أن ينطقهـــا.في قاعـــة العـــرش

وقف ريان بثوبه الأحمر القاني لا يبتسم ولا يتلعثم كان الملك العجوز ينظر إليه كما ينظر الأسد إلى ضيفٍ دخل عرينه دون إذن قال ريان بنبرةٍ واثقة:

- "جئتُ طالبًا يد الأميرة ليانا لا بوصفي عابرًا بل حاكمًا أملك شعبًا وجيشًا وأرضًا لكن لا أملك من تجعل كل هذا حياة."عمّ الصمت نظرت ليانا إلى والدها وكان وجهها كلوح رخامي لا يُقرأ.ضحك الملك ضحكة قصيرة متعجرفة ثم قال:

-"وهل صارت نورالين تزوّج بناتها لمن جاؤوا من خلف الجبال؟"أراد أن يُكمل إهانته لكن ريان سبقه بكلمةٍ حادّة:

-"وأنا لا أطلب صدقة بل أقدّم سلامًا لن تنالوه من غيري."فنهض الملك من

على عرشه ونظر إليه من أعلى درجاته ثم قال:

-"إن كنت تظن أنك تخيفني فقد أخطأت الباب خذ سلامك وارجع من حيث أتيت فإن ابنتي لن تكون زوجةً لرجلٍ يرى قلبها غنيمةً بين فتوحاتك."ثم التفت نحو ابنته وقال بصرامة:

-"قولي له بنفسك."كانت تلك اللحظة حين نظرت ليانا إلى ريان بعينين لا تحملان خوفًا ولا قبولًا قالت بصوتٍ ناعمٍ لكنه كالسيف:

-"أعتذر يا أمير ريان لا أراك رجلاً يُولد له حبٌ في مملكتي."ظلّ واقفًا صامتًا كأنها طعنةٌ لم تُسقطه لكنها أيقظت شيئًا

فيه ثم انحنى برأسه وقال دون أن ينظر إليها:

-"سنلتقي ثانيةً ولكن حينها سيكون الحب آخر ما تحكمينه."وخرج بخطواتٍ ثابتة لا تهرب بل تُخطّط للعودة ومنذ ذلك اليوم تغيّر كل شيء.مرت سنوات تبدّلت فيها الممالك وسقطت فيها مدن وتقلّب فيها ريان من أمير سلامٍ إلى رجلٍ لا يعرف طريقًا إلا حين يشقّه بنفسه ولم يكن اسمه يُذكر في نورالين بعدها إلا همسًا مصحوبًا بالتحذير.لكن في أحد الصباحات الرمادية وصلت رسالة إلى القصر تقول: "ريان عاد."

انتهى الفصل الأول

الفصـــل الثـــانـي

قلوبٌ لا تعرف الطمأنينة

لم تكن ليانا قد نامت ليلةً كاملة منذ أن وصل الخبر، رغم كلّ ما مرت به ورغم كل دروس الصمت التي تعلمتها كأميرة كانت الليلة مختلفة في جناحها الهادئ داخل القصر العاجي جلست أمام مرآتها لم تنظر إلى وجهها بل إلى ماضيها إلى تلك اللحظة التي قالت فيها:

-"لا أراك رجلاً يُولد له حبٌّ في مملكتي."تذكّرت كل تفصيلة في وجه ريان يومها تلك النظرة الأخيرة قبل أن يغادروكأنها توقّعت أن يعود لكنها لم تتخيّل أن يعود بهذا الشكل.

في الساحة الكبرى من القصر كانت الرايات تُخفض واحدة تلو الأخرى لم يُرسل إنذارًا ولم يعلن حربًا بل دخل

حدود نورالين كما يدخل الملوك لا الغازي ولا الضيف بل المنتصر.قيل إن الأمير ريان لم يأتِ بجيشٍ هذه المرة بل بشيءٍ أعنف السمعة.خلال سنوات غيابه أسقط ثلاث ممالك واحتلّ قلعتين على حدود الإمبراطورية وتحوّل من أمير إلى قوة تُحسب لها ألف حساب.وقف آدم قائد الحرس على الأسوار يتابع موكبه يدخل المدينة قربه كان الشاب سيرون الذي لم يعرف العالم خارج أسوار القصرقال سيرون:

- "ظننتُ أن الأمر كان قصة حبّ لا غزوًا."أجاب آدم وهو يشدّ على سيفه:

-"أحيانًا الحب إذا كُسر عاد على شكل حرب."أكمل بصوتٍ منخفض:

-"ريان لم يعد الرجل الذي جاء يطلب يد الأميرة لقد تغيّر ومملكته تغيّرت معه."عند غروب الشمس دُعي المجلس المصغّر للملك المريض وكان على رأسه المستشار ياسر رجل السياسة الذي لا يُعرف إن كان قلبه مع نورالين أم مع مصالحه فقط.وقف ياسر أمام ليانا وقال بهدوءٍ لا يشبه الطارئ القادم:

-"الأمير ريان يطلب مقابلتك."رفعت حاجبيها ببطء.

-"أبِطلبٍ أم بأمر؟"

-"لم يُحدّد لكنه في طريقه إلى القصر الآن."وقفت على درجات الشرفة تنظر إلى الأسفل وهناك رأت ما لم تنسه يومًا وجهه لم يبتسم لم يحن رأسه فقط وقف

عينه بعينها وبينهما ماضٍ لم يُنسَ.قال بصوتٍ عميق كمن يخاطب قلبها لا أذنها:

-"جئت كما وعدت لا طالبًا بل مُكمّلًا لما قُطع."قالت بثبات:

-"ما قُطع لا يُعاد وصله ريان لقد اخترت طريقك وأنا اخترت مملكتي."ردّ دون أن يرمش:

-"وأنا جئتُ كي أُعيدها إليكِ."مرت لحظات من الصمت، صمتٍ ثقيل كأن القصر كله يحبس أنفاسه لكن لا أحد لاحظ أن وراء الأعمدة آدم كان يراقب وعيناه تقولان شيئًا واحدًا:"هذا اللقاء لن يمرّ كسلام."

انتهى الفصل الثاني

الفصل لثالث

همسات في الظل

منـــذ دخـــول الأميـــر ريـــان إلـــى أســـوار نـــورالين لـــم يَـــنَم أحـــدٌ بطمأنينـــة القلـــوب صـــارت تشـــكّ فـــي بعضـــها والنوايـــا تتخفّـــى خلـــف كلمـــات المجاملـــة والعـــين الواحـــدة لـــم تعـــد كافيـــة لمراقبـــة مـــا يحـــدث.في قاعـــة صـــغيرة أســـفل جنـــاح الخـــدم القـــديم اجتمـــع رجـــالٌ مـــا عـــادت لهـــم مناصـــب لكـــنهم لـــم ينســـوا معنـــى الشـــرف.جلس آدم علـــى حجـــرٍ بـــارد ويـــداه تعبثـــان بســـيفه الـــذي خدمـــه فـــي أكثـــر مـــن عشـــرين معركـــة إلـــى جـــواره وقـــف مالـــك الفـــارس المتقاعـــد الـــذي فقـــد زوجتـــه فـــي غـــارة منـــذ خمســـة عشـــر عامًـــا ولـــم يُشـــاهد يبتســـم بعـــدها.كان ســـيرون فـــي الزاويـــة يتـــردد فـــي النظـــر إلـــيهم عينـــاه

تفضحان التوتر لكنه لم يتراجع.قال آدم بصوتٍ أجشّ:

- "ريان يتسلل مثل الليل لا يُعلن شيئًا لكنه يمسك بكل شيء."سكت قليلًا ثم أضاف:

-"البوابة الشمالية وضع عليها رجاله الخزانة الملكية انتقل مفاتيحها إلى حراسه الرسائل لم تعد تمرّ من المستشارين حتى ليانا لم تعُد حرةً كما تظن."ردّ مالك وهو يحدّق في الخريطة أمامه:

-"الزواج؟ هل تظن أنه لا يزال يريده؟"ضحك آدم بسخريةٍ مريرة:

-"ريان لا يتزوج امرأةً فقط ريان يتزوج التاج."

هزّ سيرون رأسه وقال بصوتٍ خافت:

-"لكنّه لم يرفع سيفه لم يقتل أحدًا لم يحتلّ المدينة."تقدّم آدم نحوه وضع يده على كتفه وهمس بحدة:

-"أتعلم ما هو أخطر من السيف يا سيرون؟ الثقة."

في جناح الأميرة كانت ليانا تُقلّب بين الرسائل القديمة رسائل كُتبت بخط يدها، وأخرى كانت ممهورة بختمٍ لم تعد تجرؤ أن تلمسه ختم أوريلاس ختم ريان.دخلت عليها مرجانة بهدوء خفيف كظلّ نسيم الليل وجلست دون استئذان قالت لها:-

"الرجال يتحرّكون يا مولاتي آدم ومالك وسيرون هم ليسوا فرسانًا بعد الآن لكنهم لا زالوا رجالًا."نظرت ليانا لها

من فوق الرسائل للقصر القديم.الريح تحرّك عباءته السوداء وعيناه تحدّقان في مكانٍ واحد نافذة ليانا لم يكن يخطط بل يتذكّرصوتها عندما قالت له "أعتذر يا أمير ريان" ووجهها حين رفضته أمام الجميع كأن قلبه لا وزن له.قال بصوتٍ خافت لم يسمعه أحد:"لا زلتِ جميلة حتى في قلب الرفض."وترك الشرفة لكن لم يعلم أن الخناجر بدأت تُشحذ في مكانٍ ما من القصروأن الهمسات التي في الظل قد تتحوّل إلى نار.

انتهى الفصل الثالث

الفصل الرابع

ليلٌ لا ينام

حلّ الليل على نورالين لكن القصر كان مستيقظًا كقلبٍ خائفٍ من كابوسٍ لا يعرف كيف يهرب منه.في الممر الطويل المؤدي إلى جناح العرش سار آدم بخطواتٍ محسوبة سيفه معلّقٌ إلى خاصرته يده عليه كمن يعرف أن نصف الأمان في قبضته ونصفه الآخر في عينيه، وقف أمام بابٍ خشبي ثقيل طرق طرقًا خفيفًا ثم دفعه بكتفه ودخل.

في الداخل كان ريان جالسًا وحده لا حرس لا خدم لا مستشارين جلس على كرسي طويل أمام موقدٍ خافت كأنه ملكٌ بلا عرش لكنه لا يحتاج العرش ليُذكّرك بمن يكون لم ينظر إليه ريان مباشرةً فقط قال:-"آدم فارس الملك القديم."

أجابه آدم واقفًا دون أن ينحني:

-"ولا زلتُ فارس الملك حتى لو مرض الجسد يظلّ الولاء حيًا."ضحك ريان بصوتٍ ناعم:

-"قلتَ الولاء؟ الولاء يا آدم ليس كلمةً تحفظها بل سيفٌ تعرف متى ترفعه ومتى تُنزل رأسك."اقترب آدم خطوة نظرتاه كحدّين متقابلين قال بصوتٍ لا يرفع فيه التهديد ولا يخفيه:

-"جئتُ أذكّرك بشيء واحد: هذا القصر ليس لك."نهض ريان أخيرًا تقدّم منه حتى صار وجهه قريبًا كأنه يرى فيه خطوط السنين همس:

-"وإن لم يكن لي فلمن يكون؟ للملك الذي يسعل دمًا في جناحه؟ أم للأميرة

التي لم تقُل لي بعد لا؟"عند تلك اللحظة ارتعشت أصابع آدم كان يعرف أن كل كلمة يسمعها الآن ستتحوّل نارًا إذا لم يضبط صوته ردّ ببرود:

-"الأميرة حرّة وإن لم تكن حرّة بكلمتها حرّرناها بسيوفنا."ارتسمت ابتسامة خافتة على فم ريان لكنه لم تكن ابتسامة فرح بل ابتسامة رجل يعرف أن الدم إن نزل لن يتوقّف قال له:

-"جئتَ الليلة لتُهددني أم لتنقذها؟"أجاب آدم بلا تردّد:

-"جئتُ لأذكّركأن بين يديك وردة إن ضغطتَ عليها كثيرًا نزفت شوكًا."

خارج الغرفة وقف سيرون يراقب الباب الموصد خلفه مباشرةً كان ياسر يخطو

بـــبطء كـــأفعى لا تســـمع وقعهـــا ســـأل سيرون:

-"هـــل تظـــن آدم سيقتله؟"ضـــحك ياســـر بخفّـــة: "آدم لا يقتـــل بالســـكين آدم يقتـــل بالوقـــت يجعـــل خصـــمه يحتـــرق بـــبطء حتـــى يتمنى أن ينهيه أحدٌ آخر."

فـــي الجهـــة الأخـــرى مـــن القصـــر كانـــت ليانـــا واقفـــة عنـــد نافـــذتها رأت ضـــوء الموقـــد ينســـكب مـــن شـــقوق البـــاب البعيـــد كانـــت تعـــرف مـــن هنـــاك ومـــن يقـــف أمامـــه وضـــعت يـــدها علـــى صـــدرها همســـت لنفســـها:"ريان لمـــاذا لا تتركنـــي حـــرّة؟"لم تســـمع بـــاب غرفتهـــا وهـــو يُفـــتح بهـــدوء دخلـــت مرجانـــة بيـــدها صـــينية شـــايٍ صـــغير وضـــعتها علـــى المنضدة اقتربت منها همست:

-"الحـــرب اقتربـــت يـــا مـــولاتي ولا أحـــد يســـتطيع إبعادهـــا عنـــكِ."ردّت ليانـــا بصـــوتٍ كمن يحدّث نفسه:

-"أنـــا لا أخشـــى الحـــرب يـــا مرجانـــة أنـــا أخشـــى قلبي."فـــي تلـــك اللحظـــة خـــرج آدم مـــن عنـــد ريـــان أغلـــق البـــاب خلفـــه لـــم يقـــل كلمـــة لـــم ينظـــر إلـــى ســـيرون ولا إلـــى ياســـر لكـــن نظـــرة واحـــدة مـــن عينيـــه كانـــت كافيـــة ليعـــرف الجميـــع هـــذه الليلـــة لـــم تكـــن بدايـــة النهايـــة بـــل أول صـــفحةٍ فـــي كتـــابٍ كُتـــب بالسكين.

انتهى الفصل الرابع

الفصل الخامس

شرارةٌ بين الحنايا

لم يكن الفجر قد بزغ بعد حين اجتمع الرجال من جديد في الإسطبل الحجري خلف القصرصوت الريح يصفّر في الثقوب وصوت الأحصنة يختلط بوقع خطواتٍ حذرة.هناك تحت سقفٍ من قشٍّ مبلّل جلس آدم على برميلٍ خشبي وإلى جواره سيرون يحرس الباب، بينما وقف مالك هذه المرة وظهره إلى الجدار كأنه جدارٌ آخر يحمي أسرارهم.كان آدم قد وضع أمامه خريطة قديمة مرقّعة عند أطرافها مرّر إصبعه على خطٍ دقيقٍ بين جناح الملك ودهاليزٍ مهجورة قال بصوته الذي لا يرفع نبرة التهديد إلا حين يلزم:

-"ريان سيطرق باب جناحها مجددًا لن ينتظر الرفض إلى الأبد."ردّ مالك: "وماذا لو قبلت؟"نظر إليه آدم نظرةً لا تحتمل المزاح:

-"ليانا لن تقبل إلا إذا صارت حريتها مستحيلة."همس سيرون من عند الباب:

-"والملك؟ سيموت قبل أن يوقّع على ورقة تزويجها"قطع آدم كلامه: "ريان لا يحتاج توقيعًا، يحتاج ليلةً واحدةً يعلنها أمام الناس بعدها تُحسم القصة بموكبٍ وسيفٍ وكلمة."في تلك الأثناء كان ريان واقفًا وحده أمام المرآة الكبيرة في جناحه الخاص خلع قفازاته الجلدية واحدًا واحدًا، مرّر أصابعه على خده كما لو ينفض عن نفسه تعب الحروب لكنه

حين حدّق في عينيه لم ير أميرًا منتصرًا رأى رجلًا جاء يطلب قلبًا، فحاصره بحصونٍ أسوأ من أسوارٍ تُقتحم بالسيوف.عند الباب ظهر ياسر كعادته بلا صوت دنا من ريان وقال بخفّة الثعالب:

-"آدم يخطّط رأيته الليلة مع سيرون ومالك."ردّ ريان بلا أن يلتفت:

-"آدم فارس قديم لا يُهاجم بسيفٍ مرفوع بل يُهاجم بألسنةٍ تُلهب القصر من داخله."تقدّم ياسر خطوة همس:

-"أعطني أمرًا أُنهيه الليلة."أدار ريان رأسه ببطء نظر إلى ياسر كأنه يرى فيه مرآةً أخرى لكن مرآةً مشروخة:-"ليانا ستكرهني أكثر لو رأت دمًا فوق عتبة

جناحها."أجـــاب ياســـر بخبـــثٍ لا يخفيـــه: "ومـــن قـــال إن الـــدم ســـيظهر أمـــام جناحها؟"صـــمت ريـــان لحظـــةً طويلـــة ثـــم قال له ببرودٍ يشبه الجليد:

-"غـــادر الآن يـــا ياســـر دع آدم وشـــأنه الليلـــة حـــين يحـــين وقـــت الـــدم ســـتعرفه مـــن نظرتي."فـــي زاويـــةٍ أخـــرى كانـــت ليانـــا تُحـــدّق فـــي كلمـــاتٍ كتبتهـــا بيـــدٍ مرتعشـــة رسالةٌ لم تعرف لمن تُرسلها:

-"أحتـــاج أن أتـــنفّس أحتـــاج أن أختـــار وإن لـــم أســـتطع فلينتـــهِ كـــلّ شـــيءٍ بيـــدي."طوت الورقـــة دسّـــتها فـــي جيـــب معطفهـــا ســـمعت صـــوت مرجانـــة خلفهـــا:-"إلـــى أيـــن ستذهبين يا مولاتي؟"

ردّت دون أن تلتفت:

-"إلى الحديقة فقط لأتذكّر أن هذا القصر ما زال فيه سماء."خارج الأسوار خلف الإسطبل حيث يجتمع الرجال اقترب سيرون من آدم بعد أن أنهيا الاجتماع همس له:-"أتعِدني بشيء واحد؟"رفع آدم رأسه:- "ما هو؟"ردّ سيرون بصوتٍ خافت: "إن فشلنا لا تتركها له."

لم يجب آدم لكن نظرته كانت وعدًا صامتًا.تحت جناح هذا الليل كانت الشرارة تُغرس في الحنايا، وفي قلبٍ ما زال يرفض أن يُعلن هزيمته كانت نارٌ صغيرةٌ تبدأ بالاشتعال.

الفصل السادس

أول نصلٍ يلمع

لم يكن الفجر قد بان بعد حين تحرّك آدم في الممرات الخفيّة خلف جناح الملك خطواته كانت تحسب عدد البلاطات تحت قدميه كأن كلّ خطوةٍ ميزانٌ جديد بين الحياة والموت.سار خلفه سيرون يحمل قوسًا صغيرًا خبأه تحت عباءته كان قلبه يدقّ كطبول حربٍ يعرف أنه ليس فارسها الوحيد لكنه اختار مع من يقف وقفا أمام بابٍ خشبي على طرف جناحٍ كان يُستخدم قديمًا كغرفة خدمٍ للنوم.قال آدم بصوتٍ لم يكد يسمع:

-"هنا ينام الحارس الذي ينقل أوامر ريان إلى ممرات القصر."

ردّ سيرون وهو يلمس وتر القوس:

-"هل نقتله؟"هزّ آدم رأسه:

-"لا دم الليلة نجعلهم يشكّون في بعضهم فقط."

دفع الباب ببطء دخلوا وجدوا الرجل نائمًا رأسه مائل فوق صندوق رسائل بجانبه كومة أوراقٍ مختومة بخاتم ريان، اقترب سيرون فكّ أحد الأختام بسرعة أخرج رسالةً ممهورة بخطٍ واضح:

-"إلى الحارس ريفان احكم جناح الملك قبل بزوغ شمس الغد أغلق أبواب الرسائل دع الأخبار تمرّ من يدي وحدي ريان."تبادل النظرات مع آدم همس آدم: "سنبدّلها."أخرج من جيبه رسالةً كتبها الليلة الماضية، نقل فيها أمراً مزيّفًا:

-"إلـــى الحـــارس ريفـــان اســـحب الحـــرس مـــن جنـــاح الملـــك فجـــراً دع ممـــرات القصـــر فارغة ساعة واحدة ريان."

وضـــع الرســـالة المزيّفـــة مكـــان الأصـــلية غطّـــى الرجـــل مـــن جديـــد خرجـــا كـــأن شـــيئًا لـــم يكن.فـــي الجهـــة الأخـــرى مـــن القصـــر كانـــت ليانـــا تمشـــي وحـــدها فـــي الممـــر الحجـــري المـــؤدي إلـــى الحديقـــة صـــوت نعالهـــا يطـــرق الأرض كأنهـــا تســـتدعي صـــدىً يـــردّ عليهـــا حـــين وصـــلت إلـــى الشـــجرة الكبيـــرة الشـــجرة التـــي شـــهدت أول لقـــاءٍ لهـــا مـــع ريـــان قبـــل ســـنين وضـــعت يـــدها علـــى جـــذعها العجـــوز أغمضـــت عينيهـــا فشـــمت رائحـــة الماضـــي وقفت هنا يومها بثوبٍ أبيض يدها على

قلبها وريان أمامها سيفه مغمدٌ قلبه عارٍ.فتح ريان عينيه في جناحه أحسّ بها قام من مقعده كأن ريحًا حملته خرج بخطواتٍ واثقةٍ نحو الحديقة الخلفية رآها من بعيد تقف وحدها اقترب حتى كاد يسمع أنفاسها قال لها من خلفها:

-"ما الذي تبحثين عنه هنا؟"استدارت ببطء لم تبتسم لم ترفع صوتها فقط قالت:

-"أبحث عن نفسي."اقترب منها خطوةً أخرى همس:

-"ونفسكِ أأنا عدوّها؟"نظرت إليه بعينين رماديتين لم تعد تخفي الدموع ردّت بشيءٍ يشبه الحقيقة:

-"أنت لا تعرف كيف تحبّ يا ريان، أنت تحاصرولا تحتضن."

تلك الكلمات غرست خنجرًا صغيرًا في صدره خنجرًا لم يبدُ في عينيه لكن صوته اهتزّ وهو يردّ:

-"أُحاصركِ لأنكِ آخر ما تبقّى ليانا."مدّ يده نحو خدّها لكنها تراجعت خطوةً للخلف قالت بهدوء:

-"أحيانًا يكون التراجع هو آخر ما ينقذنا."في تلك اللحظة في جناح الملك المهجور استيقظ الحارس "ريفان"فتح الرسالة المزيّفة قرأها ثم نظر حوله كمن يشكّ في عقله لكنّه يعرف الختم ويعرف اليد التي كتبت ابتسم بخبثٍ مغفّل:

-"أوامـــر الأميـــر لا تُناقَش."وبينمـــا هـــو يجهّـز جنـوده للانسـحاب سـاعة الفجـر كـان آدم مـن بعيـد يرقـب البوابـة الخلفيـة للقصـر قـال فـي نفسـه:-"سـاعة واحـدة فقـط ونعـرف إن كنـا نسـتحق القتـال."وفي صـدر ريـان كـان نصـلٌ صـغيرٌ يـومض للمـرة الأولـى لكـن لـم يعـرف بعـد مـن سيمسك بالمقبض.

انتهى الفصل السادس

متوتر ممهد للشرارة القادمة

الفصل السابع

أول قطرةٍ تُراق

لم يكن الفجر قد بان حين بدأ الحارس "ريفان" يُنفّذ أوامر الرسالة المزيّفة انسحب حرس الجناح الملكي واحدًا تلو الآخر تاركين وراءهم أبوابًا لا يحرسها سوى صرير المفاصل القديمة في ممرٍ جانبي تحرّك آدم ومعه سيرون وجوههما تحت أغطيةٍ سوداء كان معهما أربعة رجالٍ آخرين من الذين خسروا مناصبهم حين دخل ريان القصر بسلامٍ يشبه الكمين.وقف آدم أمام الباب الحجري المؤدي إلى غرفة الملك العجوز نظر إلى سيرون سحب خنجره من غمده قال بصوتٍ يشبه الريح:"لا نؤذيه نُنقِذه."داخل الغرفة كان الملك ممدّدًا على سريرٍ عتيق صدره يعلو

ويهبط بصعوبة عند قدميه جلست مرجانة تمسح عرقه تهمس له بكلماتٍ يعرف وحده معناها.حين دُفع الباب ببطء التفتت مرجانة رأت آدم لم تصرخ فقط هزّت رأسها علامةً على الفهم.اقترب آدم من الملك همس له كمن يكلّم حجرًا لا يردّ:"مولاي سامحني."أشار إلى الرجال فحملوا الملك ببطءٍ شديد لفّوه بمعطفٍ من فروٍ ثقيل فتحوا بابًا سريًا في الحائط، طريقًا لا يعرفه إلا حرسٌ قديم وحجارون لم يعودوا أحياء.

قال سيرون وهو يساعدهم:

-"إلى أين سنأخذه؟"ردّ آدم:

- "إلى جناح الصيد حيث لا يبحث ريان الليلة فقط بعدها لكل حادثٍ حديث."لكن

لم يكن الحظ معهم كلّه عند مخرج الممر ظهر ظلّ طويل يحمل شعلةً صغيرة كان الحارس ريفان نفسه الذي عاد ليتحقق من أمرٍ غريبٍ أقلقه: لماذا ينسحب حرس جناح الملك؟ لماذا لم يُستبدلوا كما أمر ريان؟لمح الرجال يحملون الملك.شهق: "خيانة!"

أراد أن يصيح لكن سهمًا قصيرًا اخترق عنقه قبل أن تخرج الصرخة كان السهم من قوس سيرون سقط ريفان وبقي صوته يُغرغر بين أسنانه.شهق أحد الرجال: "الدم بدأ."

لم يكن في القصر من ينام ريان كان واقفًا أمام نافذة جناحه رأى وهج الشعلة يسقط في الباحة الخلفية شعر بحدسه

الـــذي لـــم يخنـــه قـــط أن شـــيئًا مـــا انكســـر الليلة.تقدّم إليه ياسر يلهث يهمس:

-"أبلغوني أن جناح الملك خاوٍ."

اســـتدار ريـــان بـــبطء عينيـــه كانتـــا تشـــبهان عينـــي ذئـــبٍ جـــائعٍ شـــعر بفريســـته تهـــرب همـــــس لنفســـــه قبـــــل أن يهمـــــس لياســـر:"آدم"في تلـــك اللحظـــة فـــي ممـــرٍ بعيـــد، ركضـــت ليانـــا بعباءتهـــا تحمـــل رســـالةً فـــي صـــدرها لـــم تكـــن تعـــرف مـــا يجـــري بالضـــبط لكنهـــا شـــعرت أن قلبهـــا صـــار زنزانـــةً إن بقيـــت هنـــا اعترضـــتها مرجانـــة في الظل أمسكت بيدها بقوة:

-"إلى أين؟"ردّت ليانا بنظرةٍ مرتجفة:

-"إلـــى حيـــث لا يجـــدني أحـــد."لكن فـــي الظـــل القريـــب كـــان ســـيرون يراقبهـــا وأدرك أن

الأميرة قد تكون الورقة الأخيرة التي إن ضاعت ضاعت الحرب.تحت القصر في دهاليز لم تعرف النور منذ عقود سُمع وقع أقدامٍ تركض ووقع دمعةٍ سقطت على أرضٍ باردة. وهناك بين صدى الأحجار رُسمت أول قطرة دم وبدأ الليل يُفصح عن وجهه الحقيقي.

انتهى الفصل السابع

الفصل الثامن

ظلال تتكسر

حين حلّ الفجر لم يكن في القصر مَن لم يسمع بالذي جرى ليلًا جناح الملك فارغ ريفان مقتول بسهمٍ مجهول والممرات لم تعد صامتة صارت همساتها تُقطع كالسكاكين.في الجناح الجنوبي المهجور اجتمع آدم برجاله وجوههم شاحبة ملابسهم عليها آثار دمٍ لم يكن من المفترض أن يُراق بعد.

سيرون ظلّ واقفًا في الزاوية عينيه على الأرض يفتح يده ويقبضها كأنه يحسب ذنبه.

قال مالك وهو يرفع صوته لأول مرة:

"قتيلٌ يعني دمًا ودمٌ يعني لا رجعة."

ردّ عليه شابٌ يُدعى زاهر من الفرسان الذين أعادهم آدم سرًّا:

-"إن لـــم نُكمـــل الليلـــة ســـنُعلّق غـــدًا فـــي ســـاحة العـــرش!"نهض آدم صـــوته لـــم يكـــن فيه غضب لكن في عينيه حرب:

-"مـــن خـــاف فليخـــرج الآن مـــا بـــدأناه لا يُتـــرك نصـــفه حيًـــا ونصـــفه ميّتًـــا."نظر إلـــى سيرون الذي ظلّ صامتًا همس له:

-"الســـهم أنقـــذنا لكـــن الـــدم ســـيُحمّل علـــى كتفـــك وحـــدك أتقبـــل؟"رفع ســـيرون رأســـه بـــبطء فـــي عينيـــه كـــان النـــدم مختلطًـــا بـــوميضٍ صـــغير أنـــه كســـر حـــاجزًا فـــي داخلـــه ردّ بصـــوتٍ مبحـــوح:-"إن لـــم أفعـــل لصـــاح الـــدّم الـــذي أســـكته."في تلـــك اللحظـــة كانـــت ليانـــا تجلـــس وحيـــدةً فـــي ممـــرٍ رخـــامي مهجـــور يـــدها علـــى الرســـالة التـــي كتبتهـــا ثـــم مزّقتهـــا ثـــم أعـــادت كتابتهـــا فـــي كـــل مـــرة

الحـــروف تتغيّر.فـــي المـــرة الأولـــى كتبـــت: "أنـــا موافقـــة."في الثانيـــة كتبـــت: "أنـــا هاربـــة."في الثالثـــة كتبـــت: "أنـــا أنـــا فقط."دخلـــت عليهـــا مرجانـــة وضـــعت غطاءً صوفيًا على كتفيها جلست أمامها:

-"مـــولاتي إن بقيـــتِ صـــامتة ســـتتكلمين حـــين لا ينفـــع الكلام."رفعـــت ليانـــا عينيهـــا نحوها همست:

-"وأيـــن أذهـــب يـــا مرجانـــة؟ كـــل طريـــقٍ لـــي فيـــه عـــدوريان هنـــاك وآدم هنـــا والعـــرش بينهمـــا وأنـــا مـــن خشـــبه."قامت مرجانـــة وضـــعت يـــدها علـــى خـــدّها كـــأمٍ فقـــدت ابنـــةً ثانية:

-"العـــرش لا يســـتحقكِ إن لـــم يكـــن لـــكِ وحـــدكِ."خارج القصـــر قـــرب الإســـطبل الحجري وقف زاهر يتحدث مع سيرون:

-"هـــل رأيتهـــا؟ الأميرة؟"هـــزّ ســـيرون رأسه:

-"لا لكنهـــا ســـتُجبر علـــى الاختيـــار آدم يعـــرف هـــذا وريـــان يعـــرف هـــذا أكثر."أمـــا ريـــان فكـــان فـــي جناحـــه لا ينـــام أمامـــه خريطـــة القصـــر حولـــه أوراقٌ موقّعـــة وأختـــامٌ مكدّســـة كـــل شـــيءٍ فيهـــا يـــدلّ علـــى رجـــلٍ يملـــك كـــل شـــيء عـــدا الشـــيء الوحيـــد.دخل ياســـر عليـــه صـــوته مغمـــوسٌ بســـمّه المعتـــاد:-"الحـــارس مـــات جنـــاح الملـــك فـــارغ والرجـــال يحرســـون الهـــواء

فقـــط."ردّ ريـــان بـــلا أن يرفـــع عينيـــه:-"وآدم؟"

-"مـــــا زال مختفيًـــــا لكـــــن الليلـــــة سـيتحرّك."رفع ريـان رأسـه بـبطء قـال لـه بهدوءٍ كمن يُنهي صلاةً في صدره:

-"إن لمـس ليانـا أحـدٌ مـنهم فلـن يظـلّ فـي القصـر حجـرٌ علـى حجر."ليانـا فـي تلـك اللحظـة أدركـت أن الاختبـاء لـم يعـد يجـدي قامـت مـن مكانهـا نزعـت الغطـاء عـن كتفيهـا نظـرت إلـى مرجانـة:-"قـولي لهـم إننـي اختـرت." سـألتها مرجانـة بدمعـةٍ صـغيرة: "اختـرتِ مـن؟" ردّت ليانـا بنبـرةٍ خافتة كريحٍ بين أوراق:

-"اختـرت نفسـي أولًا."تحـت جناحهـا كـان آدم قـد بـدأ ينشـر رجالـه فـي الأروقـة وفـي

إحـــدى الزوايـــا وضـــع يـــده علـــى كتـــف سيرون:

-"الليلـــة لا تقتـــل ســـهمك الليلـــة حـــرّك قلبهـــا."لم يفهـــم ســـيرون تمامًـــا لكنـــه أدرك أن الليلـــة قـــد تكـــون الليلـــة التـــي تُكســـر فيهـــا الظلال.

انتهى الفصل الثامن

ممتد يفتح الطريق لصدامٍ لا مهرب منه.

الفصل التاسع

ليلٌ لا يخفي أحدًا

لم يبقَ في نورالين ليلٌ يحمي أحدًا منذ الغروب صارت الأروقة تُراقب من عيونٍ تختبئ وراء الدروع والستائر حتى الخدم صاروا يخشون تبادل الهمسات خشية أن يتسلّل الصوت إلى أذنٍ تعرف أين يغرس الخنجر.في جناحٍ داخلي اجتمع آدم برجاله بينهم وقف سيرون يتصبّب عرقًا رغم برد الحجارة حولهم.

كان آدم يرسم بيده خطةً بسيطة:"الملك في جناح الصيد ليانا محاصرة وسط جناحها ريان في شرفته يحسب نفسه ممسكًا برقابنا جميعًا الليلة إمّا نكسر الباب أو نُكسر نحن."

سأل زاهر بصوتٍ مرتعش:

-"وإن رفضت الأميرة؟ إن فتحت الباب ولم تنطق بكلمة؟"أجاب آدم وهو يشدّ حزام سيفه:

-"لن ترفض قلبها يعرف أن لا حرية بوجود ريان حتى لو بقِي القصر كله."في تلك اللحظة كانت ليانا جالسةً أمام مرآتها على الطاولة أمامها وُضعت أساورٌ من الذهب خواتم قديمة ورثتها من أمها وورقةٌ صغيرة كتبت فيها اسمًا واحدًا ثم مزّقتها.

سمعت طرقًا خفيفًا على بابها فتحت الخادمة بابًا خفيًا ودخل سيرون متخفّيًا بعباءةٍ داكنة حين رآها وحيدةًانحنى نصف انحناءة:

-"مـــولاتي الليلـــة حاســـمة."رفعت ليانـــا عينيهـــارأت فيـــه التـــردّد الـــذي يغلـــي فـــي صـــدره أكثـــر مـــن حرصـــه علـــى الكـــلام سألته:

-"أين آدم؟""أجاب وهو يتجنّب نظرتها:

-"ينتظـــر أمـــركِ إن خرجـــتِ معنـــا الليلـــة انتهـــى كـــل شـــيء."خارج جناحهـــا كـــان الحـــرس الموالـــون لريـــان يملـــؤون الأروقـــة لكـــن بيـــنهم كانـــت العيـــون تنقســـم نصـــفٌ يخشـــى الأميـــر الـــذي جـــاء غازيًـــا باســـم الحـــبّ ونصـــفٌ يـــؤمن أن الأميـــرة قلـــبٌ لا يُشـــترى بســـيفٍ ولا بموكب.أمـــا ريـــان فكـــان يقـــف فـــي ســـاحة القصـــر الخلفيـــة ينتظـــر إلـــى جـــواره وقـــف ياســـر يرتـــدي عبـــاءةً غليظـــةً

رغـــم دفء الليلـــة.قال ياســـر بابتســـامةٍ مغلّفةٍ بالسمّ:

-"آدم ســـيحاول إخراجهـــا الليلـــة."ردّ ريـــان ببرودٍ نادر أن يفيض من فمه:

-"دعـــه يحـــاول إن خرجـــت معـــه فلـــن تبقـــى خطـــوة بعـــدها بـــلا دم."فـــوق القصـــر كانـــت نوافـــذٌ صـــغيرةٌ تُطـــلّ علـــى الســـاحة الداخليـــة هنـــاك وقفـــت مرجانـــة تراقـــب ليانـــا وهـــي تتهيّـــأ وضـــعت علـــى كتفيهـــا عبـــاءةً حريريـــة خبّـــأت خنجـــراً صـــغيرًا فـــي كُمّهاقالـــت لهـــا بصوتٍ يشبه دعاءً مسروقًا:

-"إن خرجـــتِ لا ترجعـــي إلا حـــرّة."انفتح البـــاب الخلفـــي، خطـــت ليانـــا خطـــوةً إلـــى الممـــر الرخـــامي وراءهـــا ســـيرون يمســـك بخنجره ينظر يمينًا ويسارًهمس:

-"الطريق حتى جناح الصيد مفتوح دقائق فقط ونخرجكِ من بين أسوار ريان."

لكن لم يكن يعلم أن ياسر أطلق جنوده من الطرف الآخر وفي اللحظة التي خطت فيها ليانا خطوةً جديدة سمعت وقع أقدامٍ يقترب يقطعه صدى صوتٍ لا تخطئه:"ليانا"كان ريان واقفًا أمامها لا سيف في يده لكن في صوته كان هناك ألف نصل.اقترب منها ببطء نظر إلى سيرون إلى الخنجر المخفي في ردائه ثم عاد بعينيه إلى ليانا:

-"أكنتِ تظنين أنكِ تخرجين دون كلمةٍ أخيرة؟"رفعت ليانا رأسها نحوه نظرت

إليـــه نظـــرةً وحيـــدةً خـــذلتها آلاف المـــرات من قبل:

-"كلمـــة أخيـــرة؟ أنـــت أخـــذت كلمتـــي منـــذ جئت والآن أستردّها."

مـــدّت يـــدها إلـــى خنجرهـــا الصـــغيرلم تهـــدّده فقـــط وضـــعت النصـــل بـــين جســـدها وبينـــه كحـــاجزٍ أخيـــر وراءهـــا شـــدّ ســـيرون قبضـــته أدرك أن لحظـــــة الـــــدم قـــــد لا يؤخّرهـــــا أحـــد.وبينما اشـــتبكت النظـــرات تحـــت قمـــرٍ بـــدأ يغيـــب كـــان آدم مـــن بعيـــد يقتـــرب، ســـيفه مرفوع، وصوته في صدره وحده:

"هذه الليلة لا يختبئ أحد."

انتهى الفصل التاسع

ذروة النار قبل ختام النار

الفصل العاشرالختام الكبير

سيف يلمع قلب يُكسر حبّ ينتصر لكن بثمنٍ لا يُنسى.

الفصل العاشر

حين يُزفّ الورد ويُدفن النصل

كان الصباح مختلفًا في نورالين، الهواء ساكن كأنّ القصر نفسه لا يتنفّس وفي الساحة الكبرى التي لم تُفرش من قبل إلا للملوك، فرشت أرضها ورودًا بيضاء وحريرًا أزرق وصوت ناقوسٍ بعيد يُعلن زفاف الأميرة ليانا على الأمير ريان.

لم يفهم الناس تمامًا ما الذي حدث بعد تلك الليلة من خرج لم يعُد يتحدّث ومن بقيَ أنكر أنه رأى شيئًا لكن ما عرفه الجميع أن الملك العجوز تُوفي بهدوء في جناح الصيد فجرًا وقد لفّ جسده برداءٍ ملكي ودفن في الحديقة الشرقية دون موكبٍ ولا نعي.ليانا ظهرت في الشرفة بثوبٍ من نسيج أمهات نورالين وجهها هادئ لا فرِح ولا منكسر إلى

جوارهـــا وقـــف ريـــان يرتـــدي رداءً أبـــيض لا يُشـــبه مـــا اعتـــاد عليـــه فـــي معاركـــه، لكـــن فـــي عينيـــه ظـــلّ هنـــاك شـــيءٌ مـــن الحـــرب شـــيءٌ مـــن فقـــدٍ لا يُقال.أمـــا آدم فلـــم يكـــن بـــين الحضـــور فقـــد ســـقط الليلـــة الماضـــية حـــين انـــدفع بـــين جنـــود ريـــان فـــي الممـــر الجنـــوبي يحـــاول حمايـــة ليانـــا مـــن ســـهمٍ طـــائش جـــاءه الســـهم فـــي صـــدره لا باســـم أحـــد بـــل باســـم القـــدر ســـقط وهـــو يبتســـم قـــال كلماتـــه الأخيـــرة لـــ ســـيرون الـــذي كـــان بجانبـــه يحاول إنقاذه:

-"قـــل لهـــا إن بعـــض الحـــروب لا تُكســـب لكـــن لا نخـــون أنفســـنا فيهـــا."ثم أغلـــق عينيـــه كمـــن أنهـــى فصـــلًا مـــن روايـــةٍ كتبهـــا بيـــده وتـــرك البـــاقي للريح.ســـيرون فـــي

زوايا القصر لم يحضر الزفاف لكنه أرسل رسالةً صغيرة وُضعت في يد ليانا صباح الزفاف:

-"الحبّ لا يُقاس بمن انتصر بل بمن لم يخذل."في لحظة الزفاف تقدّم الكاهن رفع صوته:

-"هل تقبلين ليانا بالأمير ريان زوجًا حاكمًا معكِ على نورالين؟"

نظرت إليه كان يحمل ملامح كل شيءٍ مرّ بينهما الحب الجرح الكبرياء الانتظار الحرب لكنها أجابت بصوتٍ واضح:

-"أقبله لا كملكٍ فقط بل كرجلٍ اختار أن لا يكسرني حين استطاع."ثم سأل الكاهن ريان:

-"هل تقبل بها زوجةً وملكةً لا يُؤخذ منها القرار؟"

نظر إليها طويلًا ثم انحنى خفيفًا وقال بصوتٍ هادئ:

-"أقبل وأعدُها ألا أُحاصر قلبها ثانيةً."

ارتفعت أصوات التهليل رُميت الزهور من الشرفات ودقّت الطبول وسُمعت من بعيد أغاني من نساء نورالين يُنشدن أول يومٍ بلا سيف في القصر منذ سنين.

لكن عند الحديقة الشرقية حيث قبر آدم كانت مرجانة تقف وحدها تضع وردةً حمراء وتهمس:

-"زُفّت الأميرة يا آدم لكنك كنت أول من خطب حريتها."أما ليانا في أول ليلة لها بعد الزفاف، نظرت إلى ريان وقالت له:

-"لا أريد أن نُغلق هذا الباب أريد أن تبقى الريح تدخل من الشرفة لنتذكّر دائمًا أن حريتي لا تُغلق."ابتسم لها وأجاب:

-"وحين تنسين سأكون أول من يفتحها لكِ."وهكذا تزوّجت ليانا وريان مات آدم وتوقفت الحرب لكن في كل زاوية من نورالين ظلّ اسمه يُذكر همسًا في المجالس واسمها يُكتب في قصائد العشاق وكل من مرّ على شجرة الحديقة عرف أن الحب لا يُكتب بلا دم.

تمّت الرواية

****